**تفسير الآيات من (117 – 126)، عدل الله في خلقه**

بحث فى علم التفسير

إعداد / عادل محمد فتحي

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**adel.mater@mediu.edu.my**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى عدل الله في خلقه**

**الكلمات المفتاحية – عدل، خلقه، المناسبه**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة عدل الله في خلقه**

* **.عنوان المقال**

**وجه المناسبة :**

**بعد الحديث عن الشرك والمشركين، وما كان من أمر الشيطان الرجيم الذي أقسم بين يدي الله أن يتخذ من عباد الله نصيبًا مفروضًا، وأن يبذل قصارى جهده في إضلالهم، وإلهائهم، وإخراجهم عن الطريق الصحيح، وأن الذي يستجيب لذلك خسر خسرانًا مبينًا، ومصيره إلى جهنم لا يجد عنها محيصًا، أما أهل الإيمان الذين عملوا الصالحات فهم -كما قال ربنا-: {ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} [النساء: 122].**

**بعد أن تحدث القرآن عن الفريقين كان لا بد لنا أن نتساءل عن حال الفريقين، هل كل منهما مقتنع بما هو فيه؟ هل كل منهما يظن أنه هو الناجي وحده؟ هنا يأتي قول الله تعالى: {ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} [النساء:123، 124] فهذه الكلمات وضعت المقياس الصحيح، والحكم الصائب لمن يستحق النجاة، ومن لا يستحق النجاة، وأن كل واحد مجزي بعمله، وليست المسألة مسألة أمنيات يتمناها من يتمناها، إنما المسألة هي: أن {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} ثم حكم الله لأهل الإيمان ولأهل الإسلام فقال: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [النساء: 125].**

**سبب النزول:**

**يقول ابن كثير: قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم؛ فنحن أولى بالله منكم، قال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، ونبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، أي: يحكم على ما فيها هل هو حق، أو باطل؟ فأنزل الله: {ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} [النساء: 123] إلى أن قال {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ} الآية، ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان.**

**مدى تأثر الصحابة بكتاب الله:**

**عن أبي هريرة > قال: «لما نزلت: {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} شق ذلك على المسلمين، فقال لهم رسول الله : سددوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها، والنكبة ينكبها».**

**وفي رواية عن أبي هريرة يقول: «لما نزلت هذه الآية: {ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} بكينا، وحزنا، وقلنا: يا رسول الله، ما أبقت هذه الآية من شيء، قال: أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت، ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا، فإنه لا يصيب أحد منكم من مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته؛ حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه».**

**وقال عطاء بن يسار: عن أبي سعيد وأبي هريرة { أنهما سمعا رسول الله  يقول: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفَّر الله من سيئاته» إلى آخر ما جاء في مثل هذه الأحاديث.**

**وعن ابن عباس قال: «قيل: يا رسول الله {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} قال نعم، ومن يعمل حسنة يجز بها؛ فهلك من غلبت واحدته عشراته».**

**هؤلاء إذن هم أصحاب رسول الله  ومدى إحساسهم وتأثرهم بكتاب الله  إذ كانوا يؤمنون كل الإيمان بأنه كلام حق، وكلام صدق، ومن هنا تأثروا هذا التأثر، فانظر إلى حال من جاء بعدهم من هؤلاء الذين يتلى عليهم كتاب الله آناء الليل، وأطراف النهار؛ فلا يتأثرون، ولا ينظرون، ولا يعتبرون، لا يهتز لهم وجدان مع كثرة ما يتلى من كتاب الله .**

**ليس الإيمان بالتمني:**

**يقول ربنا: {ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} الأماني جمع أمنية، والأمنية -كما يقول الراغب في مفرداته-: هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء، أي: تقديره في النفس، وتصويره فيها؛ فالإنسان يصور في نفسه، ويقدر أمرًا يرغب في الحصول عليه، ويعتقد أن هذا هو الحق، فهل هذا الذي تصوره أتباع الأديان، وغير أتباع الأديان من عباد الأصنام والأوثان، ومن أهل الكتاب، ومن أهل الإسلام هل مجرد هذه الصورة التي يظن الواحد من هؤلاء جميعًا أنها هي صورة النجاة التي تؤدي به إلى الفوز في الآخرة، هل هذا الذي ذكره والذي تصوره والذي تمناه، والذي عاش له، ومن أجله على حقيقته دون أن يقدم كل واحد منهم دليله على صحة ما تمناه؟**

**الله  يقول: الأمر ليس بالتمني، وكما يقول الحسن: "ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظن بالله تعالى، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن؛ لأحسنوا العمل".**

**وأخرج البخاري في تاريخه، عن أنس مرفوعًا: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن هو ما وقر في القلب» أي: ما وقر في القلب من الإيمان الصحيح الذي يدفع صاحبه للعمل الصالح، أما أن يدعي واحد من الناس أنه مؤمن، ثم لا ترى ثمرة لهذا الإيمان؛ فهذا إنما يعيش على أمنيات كاذبة في النجاة؛ لأن العمل هو الثمرة، وقد يصح هذا الإيمان في رجل نطق بالشهادتين معتقدًا بهما قلبه كل الاعتقاد، وبمجرد أن نطق بالشهادتين لم يصنع شيئًا من الأعمال كصلاة، أو صيام، أو زكاة، أو مساعدة لفقير، أو لم يعمل عملًا صالحًا على الإطلاق؛ فعاجلته المنية فهذا من الفائزين بفضل الله، لكن الأمر في الآية الكريمة يتحدث عن أناس قد آمنوا من أهل الكتاب، أو قوم آمنوا بالأصنام وعبدوها، أو عن جماعة من أهل الإسلام، وكل يدعي أنه من الناجين؛ فجاءت الآية تحكم على ما قال هؤلاء جميعًا، وتبين أن الأساس هو أن: {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} لا يجد له من دون الله وليًا يواليه، ويدفع عنه العذاب، ولا نصيرًا ينصره هناك في الآخرة.**

**{ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [النساء: 124] نلمح في هذه العبارة أن العمل الصالح هو الأساس في النجاة إذا كان هذا الإنسان الذي يعمل العمل الصالح من أهل الإيمان؛ لأنه -كما سبق- أن ذكرنا العمل المبني على الكفر لا قيمة له، كما قال تعالى: {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ} [الفرقان: 23] فالشرط الإيمان ثم العمل الصالح، وفي هذا يتساوى الذكر بالأنثى، ولذلك قال ربنا: {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} حتى ينفي هذه المقولة الخاطئة بأن النساء لا تتساوى بالرجال، ولكن هذا ليس بالصحيح؛ لأن الذكر والأنثى هما عنصرا الإنسان، وكل منهما يكمل الآخر، وما جعل الله  للذكور من حظوظ تزيد في الميراث على الإناث إلا لِحكم ذكرناها ونحن نتحدث في آيات المواريث: لماذا كان الذكر على الضعف من الأنثى.**

**أما في الثواب والعقاب، وما إلى ذلك من ألوان القربات والطاعات وعمل الصالحات؛ فهما متساويان في الأجر، بل لو أن أنثى زادت في عبادتها، وطاعتها، وعملها الصالح لكانت أفضل من كثير من الذكور؛ فهذا أمر لا يتعلق بذكورة ولا أنوثة؛ ولهذا نجد القرآن الكريم كثيرًا ما ينبه إلى هذه الحقيقة وهو يقول: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ} [آل عمران: 195] ويقول: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} [الأحزاب: 35] إلى أن يقول: {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} [الأحزاب: 35] وهذه قضية أشبعها العلماء بيانًا، فلا تحتاج بعد ذلك إلى بيان.**

**يقول ربنا: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} [النساء: 124] فانظر معي إلى اسم الإشارة: "أولئك" الذي يشير إلى بعد درجة هؤلاء، وإلى علو منزلتهم منزلة العمل الصالح المؤسس على الإيمان، يقول الله  عمن وصلوا إلى الدرجة العالية في الإيمان والعمل الصالح بأنهم: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} أي: لا يظلمون أدنى القليل مما قدموه من عمل صالح، وفي هذا بشارة عظيمة لأهل الإيمان؛ لأنه إذا كان عدل الله وفضله سيشمل هؤلاء فنعم ما فازوا به.**

**ثم أصدر الله حكمه على حال أهل الإيمان من أهل الإسلام، وأنهم هم الناجون فقال: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} [النساء: 125].**

**شروط قبول الأعمال:**

**الله  قد أوضح من الفائز من هؤلاء المختلفين فيمن له النجاة، فقال: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} فهذا استفهام تقريري يقرر الله فيه كل من يتوجه له الخطاب ليحكم بالحكم الذي نطقت به هذه الكلمات فيقول: {ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ} فأنت ترى أن الله  اشترط شرطين أساسيين:**

**الشرط الأول: هو إسلام الوجه لله.**

**الشرط الثاني: الإحسان في عبادة الله.**

**فمن أسلم وجهه لله فهو الإنسان الذي استسلم لله بالعبودية إيمانًا به، وتصديقًا برسوله .**

**أما الشرط الثاني: وهو الإحسان، أي: جعل عمله وفق ما شرعه الله  وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، فإذا كان العمل فاقدًا لواحد من الشرطين؛ فهو عمل مردود على صاحبه، إذا فقد الإخلاص كان نفاقًا، ولعلنا ندرك أن المنافقين كانوا يتظاهرون بالإسلام، وينطقون بالشهادتين، ويحضرون المشاهد مع المؤمنين الصادقين، ومع ذلك هم من داخلهم كفروا بالله  فهؤلاء لم يسلموا وجههم لله؛ فكان علمهم مردودًا عليهم.**

**ثم يأتي قوله تعالى: {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} [النساء: 125] الذي اتبع ملة إبراهيم حنيفًا هو محمد  والمؤمنون به كما قال تعالى: {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} [آل عمران: 68] والله  يأمر رسوله بأن يتبع ملة إبراهيم حنيفًا فيقول الله له: {ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [النحل: 123] والحنيف: هو المائل عن الشرك، وعن الكفر قصدًا، تاركًا للشرك عن بصيرة، ومقبلًا على الحق بكليته، لا يصده عنه صاد، ولا يرده عنه راد -كما قال العلامة ابن كثير.**

**فمن الذي التزم بهذا المنهج، ومن الذي أسلم وجهه لله، وكان محسنًا في عبادته، ملتزمًا بشرع الله، متبعًا لملة إبراهيم، بعيدًا عن الشرك، وعن الكفر، وعن الضلال عمدًا، وقصدًا؟**

**إنهم أهل الإسلام، وأهل الإيمان؛ محمد  وأصحابه، ومن جاء بعدهم من أهل الإيمان؛ ولهذا يقرأ المؤمن في بداية صلاته في دعاء الاستفتاح في الصلاة فيقول: «إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين» هكذا يقول المسلم حين يبدأ صلاته، وقبل أن يقرأ الفاتحة معلنًا أنه على هذا الدين الذي جاء به إبراهيم، ألا وهو دين التوحيد، دين الفطرة، دين الإسلام: {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} وختامًا لهذه الآية يقول: {ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [النساء: 125].**

**ولعلك تتساءل: ماذا يقصد بهذه العبارة في نهاية الآية؟**

**المقصود منها -كما ترى- الترغيب في اتباع إبراهيم، ولزوم ملته، وهي ملة محمد  وملة أهل الإسلام، فليعلم من يريد أن يتبع ملة إبراهيم أن إبراهيم هذا كان رجلًا عظيمًا؛ كان رجلًا ضحى بالكثير، وابتلي بألوان من العبادات، وألوان من المواقف؛ فصبر حتى اختاره الله له خليلًا.**

**{ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ}:**

**ثم يعقب الله  على هذا الحكم الذي أصدره وبينه، وحكم به بين أصحاب الأديان، وما إلى ذلك، فقال: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [النساء: 126].**

**{ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} تلمح فيها هذا القصر في أن ملكية ما في السماوات وما في الأرض مقصورة خاصة بالله -ذي الجلال والإكرام-، ومعنى أن الله  له ما في السماوات وما في الأرض في هذا المقام؛ يريد الله  أن يقول لهؤلاء: بأن هؤلاء جميعًا ملكه وعبيده، وأنه  يمتلك كل من في السماوات ومن في الأرض، وما في السماوات وما في الأرض، وما دام هو المالك لما فيهما؛ فلا يمكن أن يكون شيء من ذلك ندًّا لله  ولا شريكًا له، إنما هو الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، بل كل ما يدور في هذا الوجود، الله  محيط به.**

**{ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} أي: بكل ما في هذا الكون مهما صغر؛ الله  محيط به، لا تخفى عليه منه خافية، كما قال -عز من قائل-: {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ} [الأنعام: 59] وكما قال في آيات كثيرة من أنه  لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [سـبأ: 3].**

**وهذه الآية: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} إنما جاءت في هذا المقام ليبين الله لنا أنه حين اتخذ إبراهيم خليلًا لم يكن ذلك لحاجة إلى إبراهيم؛ لأنه  له ما في السماوات وما في الأرض، وإبراهيم واحد من خلقه؛ فالله  يمتلك إبراهيم وغير إبراهيم، لكن هذه الخلة إنما هي أمر يليق بجلال الله وكماله، كما أن المحبة صفة من صفات الله تليق بجلاله وبكماله، لا يصح لنا أن نؤول فيها، ولا أن نشبه بخلقه، ولكن نثبتها لله  على ما يليق بجلاله وكماله، لكن نقول بأن هذا ليس لحاجة، وإنما هذا لميزة في هذا النبي الكريم.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**

**م**